تطلق على الذكر الذي يحبّ والدته ويتعلق بها، ويغير عليها من أبيه ويكرهه، ويشعر بأبيه بوصفه منافسًا له في حبّ الأم. ويفسّر (فرويد) زواج أوديب من أمّه بأنّ حب الأم فطري، ولكن أوديب لم يترجم هذا الحب بالشكل الصحيح. مرحلة في تطور الطفل تتميز برغبة الطفل في الاستئثار بأمه، لكنه يصطدم بواقع أنها ملك لأبيه، مما يجعل الطفل في هذه المرحلة من تطوره التي تمتد من السن 3-9 يحمل شعورًا متناقضًا تجاه أبيه: يكرهه ويحبه في آن واحد، جرّاء المشاعر الإيجابية التي يشمل بها الأب ابنه. تجد عقدة أوديب حلها عادة في تماهي الطفل مع أبيه. لأن الطفل لا يستطيع أن يقاوم الأب وقوته فإنه يمتص قوانين الأب، وهنا يأتي تمثل عادات وأفكار وقوانين الأب في قالب فكري لدى الطفل، يرى فرويد أن السمات الأساسية لشخصية الطفل تتحدد في هذه المدة بالذات، التي تشكل جسر مرور للصغير من طور الطبيعة إلى الثقافة، لأنه بتعذر امتلاكه الأم يكتشف أحد مكونات القانون، متمثلاً في قاعدة منع زنا المحارم. وتقابل عقدة الذكر لـ "فرويد" بـ (عقدة اليتكرا) عند الإناث، حيث تتعلق البنت عاطفيًّا بوالدها، وتكون هناك بعض العداوة نسبيًّا للأم نتيجة للغيرة منها. وبنى أدباء أوروبا على هذه الأسطورة الإغريقية الكاذبة نظريات ومسرحيات تراجيدية بصياغة أخرى، ثم جاء فرويد ليعلل الأمراض النفسية بناءً على أساس هذه الأسطورة المضحكة. كما أن للعقدة نفسها عند فرويد رواية جماعية تتمثل في أسطورة اغتيال الأب التي يعدها منشأ للعقائد والأديان والفنون والحضارة عمومًا.

تفاصيل أسطورة أوديب الإغريقية (كُتبت في القرن الخامس ق. م):

كان ملك ثيبس (أو طيبة) الإغريقي (لايوس) قد تزوج الملكة (جوكاستا) لمدة دون إنجاب، وكانت من عادات الإغريق أن يستشيروا (أوراكل) إي كُهّان أبولو في معبد دلفي، فقرأ العرّافون الطالع أنّ الملكة إذا أنجبت طفلاً فإنه سيقتل أباه (لايوس) ويتزوج بأمّه (جوكاستا). أنجبت الملكة أبنًا، فقرر الملك منع تحقيق النبوءة المشؤومة، فسَمّرَ كاحلي طفله على بعضهما (أي دقّهما بالمسامير) لمنعه أن يحبو أو يزحف على قدميه، ثم قرر التخلص من ابنه، فأمر أحد جنوده أن يأخذه لجبل الغابة المجاورة، وتركه هناك ليموت وحده، فذهب به الجندي لكن لم تطاوعه نفسه على ترك الطفل الصغير ليموت هناك، فسلّمه لراعي غنم، ورجع وأخبر الملك أنه تخلص من أوديب. وأما راعي الغنم فقد سلّم الطفل المسكين لراعي غنم آخر، سلّمه للبلاد المجاورة، فتبناه أخيرًا الملك (بوليبص) وملكته (ميروب) المحرومين من الأطفال.

وبسبب تورم قدميه وكاحليه، سُمّي الطفل أوديب أو أوديبوس Oedipus ، حيث الكلمة الإغريقية أوديما تعني تورّم، ومنها استعارت الإنجليزية الكلمة أوديما (بالعربية وذمة)، أُستبدِل حرف (م) بحرف (ب). ثم كبُرَ أوديب وأصبح ذا شأن عظيم هناك. وبعد مرور سنوات، أخبره أحد رجال القصر، وهو سكران، أن بوليبص ليس والده الحقيقي، لكن أوديب سأل والديه فأنكرا ذلك وأكدا له أنهما والديه. فطلب أوديب رأيًا ثالثًا فاستشار العرّافين (أوراكل) في معبد دلفي، فلم يخبروه بهوية والديه الحقيقيين، لكنهم أخبروه أن قدره أن يقتل والده ويتزوج أمّه. فقرر أوديب مغادرة البلاد بلا رجعة، تفاديًا ومنعًا لتحقيق هذه النبوءة المشؤومة. لذلك رحل إلى مدينة ثيبس (أو طيبة) لكونها أقرب البلاد. وهكذا يعود أوديب لمسقط رأسه.

وقبل دخوله المدينة كان هناك جسر للمرور، وفي أثناء عبوره الجسر واجه ملك ثيبس (لايوس: والده الحقيقي) وهو في مركبته، فطلب منه التنحي جانبًا ليعبر بمركبته. وخلال المشادة والدفاع عن النفس، قتل أوديب الملك دون علمه أن الشخص الذي قتله هو ملك ثيبس ووالده الحقيقي، وهرب خادم الملك والشاهد على الحادثة. ثم عند وصول أوديب إلى مدينة ثيبس كان هناك كائن أبو الهول الخرافي (سفنكس) يمنع الداخلين للمدينة. ولكي يدخلوا يلزمهم حلّ لغز، وإلاّ يأكلهم أبو الهول إذا لم يحلّوا اللغز. واللغز هو: (ما هو الشيء الذي يمشي على أربع في الصباح، وعلى اثنين في العصر، وعلى ثلاث في الليل؟) فأجاب أوديب: (هو الإنسان في طفولته يزحف على أربع، وفي بلوغه يمشي على رجلين اثنتين، وفي شيخوخته يتكأ على عصا المشي - أي على ثلاث)، فاستطاع أوديب بذكائه أن يكون أول من يحلّ اللغز، فصُعِق أبو الهول وقتل نفسه بعد أن رمى نفسه بالبحر، وبذلك تخلصت مدينة طيبة من هذه اللعنة.

ووصل أيضًا خبر مقتل ملك ثيبس حيث ظنّ سكان المدينة أن الملك قُتل في أثناء بحثه الإجابة على لغز أبو الهول، فشكر سكان طيبة لأوديب صنيعه ولم يكن هناك أجدر من أوديب البطل ليخلف الملك، فتزوج أرملة الملك جوكاستا (أمه الحقيقة)، وأنجب منها أبناءً أربعة (ولدين: إتوكليس و بولينيس، وابنتين: أنتيون و إسمين). وبعد مدة ينتشر وباء يصيب المدينة بالعقم، فلا نبات ينمو أونساء تحمل. فيؤكد الملك أوديب لسكان مدينته طيبة بأنه سُينهي الوباء والمعاناة.

فأرسل أوديب أخَ الملكة (كريون) ليأتي كُهان معبد دلفي للاستعلام عن سبب الوباء، فتأتي الإجابة أن الملك السابق (لايوس) قد قُتل ويجب الأخذ بثأره أما قتلاً أو نفيًا، فسأل أوديب عرّافًا عن هوية قاتل الملك، فأنذره العرّاف بأن لا يبحث عن القاتل، ولكن في عنفوان الجدال أستُثير العرّاف، فقال له إنه هو (أوديب) القاتل، وأنّ من المخجل ألا يعرف والده. فتدخلت زوجة الملك لتهدأ من روع أوديب، وتؤكد أن ابنها قد مات طفلاً، وأن مقتل زوجها كان على يد قاطع طريق (دون علمها أن زوجها الثاني أوديب هو ابنها، وهو الذي قتل أباه وزوجها الأول لايوس).

وفجأة يقدم رسول البلاد المجاورة، ليخبرهم بموت الملك (بوليبص) فيرتاح أوديب بعض الشيء بأن النبوءة لا يمكن تحقيقها لعلمه أن أباه بوليبص قد مات (فلا يمكن له قتله). لكن الرسول يسترسل بالكلام قائلاً بأن أوديب كان في الحقيقة ابنه بالتبني. وهنا تدرك جوكاستا أخيرًا هوية أوديب الحقيقية، فتطلب من أوديب أن يتوقف عن بحثه عن قاتل لايوس لتثني عزمه واستمراره في البحث. لكن أوديب يسئ فهم الملكة معتقدًا أنها متأففة من الزواج به كونه ابن عبد. فتدخل الملكة جوكاستا داخل القصر وهي منهارة مكتئبة، ثم تقرر الإنتحار وتقوم بشنق نفسها. ويستطيع أوديب من توثيق قصة الرسول وذلك باستجواب الراعي الذي تُرِك معه أوديب ليموت كطفل. فيعلم أوديب منه أن الطفل الذي تبناه الملك بوليبص والملكة ميروب، هو في الحقيقة ابن لايوس وجوكاستا. وهنا يستعيد أوديب ذاكرته أنه في طريقه لمدينة طيبة إنما قتل أباه لايوس، وأنه من بعد ذلك قد تزوج بأمه جوكاستا. ثم يبدأ أوديب بالبحث عن أمه، فيجدها قد انتحرت. وكانت صدمة (عُقدة) أوديب كبيره جدًّا لم يستطع تحمّلها، فيأخذ دبوسًا من ثوب أمه ويفقأ به عينيه الاثنتين بيده (لأنه كان أعمى عن معرفة الحقيقة).

يطلب أوديب من كريون (أخ الملكة وخال أولاده) رعاية بناته لأن أولاده كبار يستطيعون الاعتماد على النفس، ثم يقوم أوديب بلمس أولاده للمرة الأخيرة قبل خروجه للمنفى (عقابًا له لقتل والده لإنهاء الوباء). وتخرج معه ابنته (أنتيون) رفيقًا له وهادي طريق في أثناء خروجه عبر البلاد لتوصل أباها الأعمى أوديب إلى مثواه الأخير في كولون حيث توفي هناك، بعد أن صار في حماية الملك ثيسيوس ملك أثينا. وترجع أنتيون لموطنها.

أما ولداه (إتيوكليس و بولينيسيس) فإنهما يتفقان على حكم المملكة مشاركةً، بالتعاقب كل سنة. لكن إتيوكليس يرفض التنازل عن عرشه بعد سنته بالحكم كملك. فيقوم أخوه بولينيسيس بتنجيد جيش لمقاتلة أخيه والمطالبة بحقه بالملك. وفي النهاية يقتل الأخوان كل منهما الآخر. وهنا يتربع كريون (أخو الملكة جوكاستا) على العرش، ويقرر أن بولينيسيس كان خائنًا ولا يجوز إعطائه حق الدفن الملكي. لكن أخته أنتيون تتحدى المرسوم وتحاول دفن أخيها، وبسبب تجاوزها، يصدر الملك كريون مرسومًا بضرورة دفنها في كهف صخري مما يدفعها للانتحار وشنق نفسها.

(يتبع)

إبداع

قصة قصيرة

أيتها البندقية لست حبيبتي...

بقلم: محمد عبدالوكيل جازم

اليمن

جرب بالأمس أن يغادر المنزل القروي بدونها، لكنه لم يستطع، كان قد ركب سيارة أجرة قاصدًا المدينة للالتحاق بساحة الثوار، إلا أنه تراجع عن ذلك القرار بعد دقائق .. صرخ في وجه السائق: "أنزلني .. أرجوك توقف". دون أن يتحدث لأحد عاد مسرعًا إلى المنزل.. فتح الباب بركلة من قدمه، ودخل مسرعًا .. صعد ثمان درجات مؤدية إلى صدر الطابق الثاني .. انعطف يمينًا، وبركلة أخرى من قدمه الثانية فتح باب غرفتهما العلوية: "ها ..أين أنت يا حبيبتي..". حين شاهدها أحس بأن فرحًا غامرًا يخرج من دواخله. كأنها هجرته قبل أعوام، ويتحسس خازن الرصاص؛ وكأن ما يحدث ليس إلا خيالاً.. همهمات عالية انطلقت من فمه: أنت كل شيء بالنسبة لي ..لم أتخيل أي قيمة للحياة بدونك ..التقينا قبل زمن طويل، كنتُ يومها في الرابعة عشر، وها أنا اليوم في الخامسة والعشرين ولم تفتر محبتي، بل لا حبيبة لي سواك.. أرادوا التفريق بيننا حين درست الثانوية، في مدرسة التضامن، إلا أنني رفضت ذلك بشدة، أدخلتك معي عنوة ماذا يمكنهم إن يفعلون بي وأنت معي؟ لست أدري ما نوع هذه المحبة التي جمعتنا.. في العشرين أرادوا أن أتخلى عنك والتحق بالجامعة، إلا أنني صددتهم.. قلت لهم: إن كانت الجامعة ستحرمني هذا الدفء فلتذهب إلى الجحيم .. صدقيني .. أنت أجمل امرأة أحببتها في حياتي. أجال عينيه في رأسها وعنقها ووسطها المشوق: كم مرةً عبرنا الأودية الموحشة والجبال السحيقة والذرى العالية الملفوفة بالضباب دون إن نخشى شيئًا ودون أن نقيم وزنًا لكائن من كان.

2

في الليل أضاء شمعة وقعد جوارها، طول الليل بقيت عيناه معلقتان في عيونك الكثيرة ..تساءل بصوت مرتفع: أي ثوار هؤلاء الذين يريدونها سلمية.. لا أدري كيف ينكرون .. لقد وضع هؤلاء المخابيل شرطًا تعجيزيًّا .. إنه من أعقد الاختبارات التي عرفتها في حياتي: كيف يمكن للإنسان أن يقيم ثورة بدون سلاح؟ نعم كان ذلك في تونس، ثم مصر لكنّا نختلف عنهم كثيرًا .. انظري إلينا ياحبيبتي ألسنا "أنت وأنا "نستطيع القيام بثورة . اللعنة.. اللعنة عليهم جميعا.. اللعنة على تلك اللحظة التي قرروا فيها ترك السلاح.. بإمكاني الآن أخذك معي، لكنهم سيدخلونني ساحتهم، ويدعوك وحيدة؛ لذلك أنت هنا، وأنا هناك، وإن كنت لا أدري كيف أذهب وأدعك وحيدة؟ كيف سيبدو العالم بدونك، وأنا لا أرى الأشياء إلا من خلال رائحتك المشبعة بالبارود؟ نعم حبيبتي ..ألم يقل المثل القبلي "ابن القبيلي له رائحة البارود، وابن السوق لا رائحة له سوى العطر "هاهي الشموع انطفأت، وأنا أراك كالقمر المشرق.. افتح شريط الذاكرة وأستعيده جيدًا...

3

أنا وأنت اثنان، ولكن هذين الاثنين طالما هزما جيوشًا من البشر، هل تتذكرين ذلك الجبل السحيق الذي ذهبنا إليه لجلب أغنامنا من بين تلك القطعان، التي سرقها لصوص الماشية ..؟ كانوا قد ذهبوا بها بين قطعانهم الكثيرة، ولكن هيهات أن يتم لهم ذلك وأنت معي تناصرينني وتقفين أمامي .. تجاوزنا الحقول المرسومة على أشكال عديدة: مربعة ودائرية ومستطيلة.. صعدنا جبلاً عملاقًا، ثم انتشرنا وبالهول انتشارنا ..إذا انتشرت نظراتنا استطعنا تحديد الهدف وقد كان لنا ذلك عندما اخترقت رصاصة واحدة قدم أحدهم .. تجمد اللصوص من الخوف؛ لم يدركوا مصدر الطلقة .. تنادوا لأنهم فهموا إشارتنا حيث لا يستطع أحد منهم توجيه بندقيته أو التحكم بها.

صرخ كبيرهم وهو يضع سلاحه جانبًا :

- ماذا تريدون

قلت لهم بصيغة الجمع، لأنني كنت معك ونحن بمثابة جيش

- نريد أغنامنا..

قالوا

- ولكن من أنتم

- نحن لسنا من اليشر

- ومن تكونون

- نحن من الجن

- ردّ رابعهم في محاولة لإطالة الحديث معنا ومعرفة الصخرة التي نختبئ خلفها فسأل

- من أي القبائل أنتم؟

رددنا عليه بثلاث رصاصات قرب قدميه؛ لأن أصابعه بدأت تتحرك باتجاه سلاحه .

كان المرتفع الجبلي الذي نقف عليه يسمح برؤيتنا لهم ولا يفعل العكس. لم يفكروا طويلاً لأن وبخناهم بواسطة الرصاص، وهي لغة يفهمها القبيلي جيدًا؛ خاصة وأن لدينا طريقة قنص جديدة نستطيع من خلالها ترك إحساسًا بكثرتنا لدى الخصوم.

يومها حمل اللصوص جريحهم وذهبوا، وقبل ذلك أخرجوا أغنامنا كلها دون أن ينبسوا ببنت شفه ودون أن نتحدث شاهدناهم وهم يوجهون أغنامنا في الطريق الصحيح.

4

في الصبح اقترب من النافذة.. شاهد أقرانه - وقد تركوا بنادقهم - يصعدون إلى متن السيارات المتجهة صوب المدينة، كانوا يتحدثون وأصابعهم تجيء وتذهب في إشارة إلى أنهم ينظرون قدومه .. فكر قليلاً، ثم التفت إليها ولا شيء في خياله سوى هؤلاء الذين صعدوا سيارات السفر بصدور عارية؛ لا يمتلكون شيئًا سوى الأمل ..هاهم اليوم قد اجتمعوا ليفرقوا بيني وبينك ولا خلاف بيننا كما تعلمين أنا ما زلت وفيًا لك وأنت كذلك.. إنهم لا يمتلكون دليلاً واحدًا على أننا استأثرنا بسكونهم أو خمشنا جدران دمائهم أو مزقنا جلال نواميسهم وما اعتادوا عليه، كما فعل البعض لم يحدث شيء من ذلك .. ثم قال بصوت متهدج وقد قرر أن يدير لها الظهر :

- لقد تغير العالم..

تخيل صوتا ينطلق من حناجر مواسيرها وهي تقول:

- لا تتركني

- قلت لك ابقي هنا إلى أن أعود، وسوف نتنقل معًا فيما بعد

- أخاف أن تنسى..

حين وصله صدى الصوت الأخير كان قد غادر المنزل؛ إلا أن أصداء الصوت تكررت، وراحت تتماوج في رأسه ؛كأنها أسراب من النحل تلاحقه بطنينها وهو يصرخ قاصدًا الهدف:

- لا..لا.. لا لست حبيبتي